

والشهوة ، وأن تعمل بالهوى ، فإذا فطمتها عن العادة انقطعت ، ألا ترى أن الصبي إنما اعتاد ثدى أمه ، كيف سكوته بذلك الثدي ، إنما يحن إليه إذا فقدته ، وكيف يفرح به إذا وجدته . فكذلك النفس الشهوانية ، فإذا فطم الصبي انقطع ، حتى لا يلتفت إلى الثدي بعد ذلك ؛ لأنه وجد طعام ألوان الأطعمة ، فلا يحن إلى اللبن ، كذلك النفس إذا وجدت طيب اليقين ، وروح قرب الله تعالى ، وحلاوة اختيار الله عز وجل ، وجميل نظره لها ، لم تحن إلى تلك الشهوات .

اليقين

قيل له : فماذا يوجد اليقين^(١) قال : بطهارة القلب ؛ لأن اليقين طاهر فيظهر مكانه ومستقره .

(١) قال المحققون : اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، وفيه تفاضل العارفون ، وتنافس المتنافسون ، وإليه شمر العاملون ، وإذا تزوج الصبر باليقين ، ولد بينهما حصول الإجازة في الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [سورة السجدة - الآية رقم ٢٤] .

قيل له : وما طهارته ، قال : ترك ما اضطرب القلب عليه
 ورباك منه تورعًا ، دق أو جل ، ثم تطهره من التعلق
 بالشهوات ، والاشتغال بها ، فإذا أنت فعلت ذلك صقلت
 قلبك ، فصار لك مرآة بالتورع ، فكلما تفكرت شيئاً من
 أمر الآخرة ، تمثل ذلك فى مرآتك ، حتى تصير الآخرة لك
 معانية ، فإذا منعت قلبك عن حريق الشهوات ، كما تصون
 مرآتك عن حرارة أنفاسك ، تمثل فى قلبك الملكوت ،
 حتى يصير أمر السموات إلى العرش لك معانية ، تبصره
 بعينى قلبك ، كأنك تنظر إليه ، كما قال حارثة ، رضى الله
 عنه : يا رسول الله . « كأننى أنظر إلى عرش ربي بارزاً ،
 وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار كيف
 يتعاوون » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرفت
 فالزم ، عبد نور الله الإيمان فى قلبه » ^(١) . فإذا صنت قلبك
 فصنه بعد ما ذكرنا عن النظر إلى نفسك إعجاباً وفرحاً ،
 بالغطاء لها انقطعت الأسباب منك ، وصفاً لك طريقك
 إلى الله عز وجل بلا غبار ولا غيم ، فلا يغان ^(٢) على قلبك ،

(١) رواه البزار بسند ضعيف عن أنس والطبرانى فى الكبير من حديث
 الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضاً .

(٢) يقال : غين على قلبه غيئاً ، إذا تغشته الشهوة . وقيل : غين على قلبه =

فإذا أصاب قلبك الغين استغفرت الله في اليوم مائة مرة » .
وهذا الغَيْنُ من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس كما
يجده مَنْ بعده فيما نعلمه ، فليس نراه من طريق التخليط ،
ولا من طريق العيب ، فقد كان قلبه أظهر ، وشأن أمره أعظم
وأجل من أن يُظنَّ به .

ولهذا الباب تفسير أوضح من هذا ، نبينه في آخر هذا
الكتاب ، إن شاء الله تعالى ، في صفة القلب وخلقته وشرح
اليقين ما هو .

[وإن] أردنا أن نُسْتَتِمَّ ذكر النفس ورياضتها عدنا إلى
ذكر رياضة النفس ، ألا ترى أن البازي كيف كان نفااره من
الأدَميين في الجبال الشامخات ، فلما رُبَّ وأُمْسِكَ على التربية ،
أنس بصاحبه ، وأخذت التربية بقلبه ، واعتاد السكون معه ،
فنزح عن النفار ، وترك هَمَّ الطيران ، واطمأن إلى صاحبه ،
حتى إذا أرسله وحثَّه على الطيران طار ، فأصَاد وأمسك عليه
صيده ، تحريراً لموافقته مولاه ، ثم إن دعاه من الطيران رجع ،
وآثر هواه على هوى موافقة نفسه ، فأجابه منقضاً إلى حبله
وسباقه .

= غطى عليه وألبس . وغين على الرجل أى غطى عليه « لسان العرب » .

أفلا يحق على مؤمن أبصر هذا أن يموت كمداً وعبرة ،
وأسفاً على فَوْتِ هذا من نفسه ، أن يكون طيره أسمع له
وأطوع ، وأشدّ تحريّاً لموافقته ، وألزم لنصيحته من العبد
المؤمن لربه .

ألا ترى إلى الدابة الخسيسة قيمتها قليلة ، تُؤخذ من
الدواب وقد اعتادت الرعى حيثما شاءت ، كيف يروضها
الرائض على قبول السرج واللجام ؟ وكيف يؤدبها حتى تأخذ
السير ؟ وكيف يؤدبها عند القناطر ، وفي مواضع الجلبة .
يريد أن يشيعها حتى لا تهاب هذه المواضع إذا بلغت ؟
وكيف تفتح أذنيها عند المسير ، وتميل يميناً وشمالاً لا ينقلب
عنانها ، فإن لم تجد قنطرة فأهوى بعنانها ، وثبت إلى الجانب
وثبة مخاطرة بنفسها ، وإن استقبلتها جلبة لم تهب ، ولم تترك
سيرها ، فتصير بحال تصلح لذلك ؟

فإن قُومَتْ قُومَتْ بالدنانير رفعة لها ، لا بالدراهم ،
فتجلل وتبرقع ، ويصفى لها العلف ، وتربط في مربوط الملك ،
فإنما بلغت هذا المبلغ ، وسقط عنها جهد العمل وكده ،
وحمل أثقال الحمولات ، وتخلصت من دبر الظهر ، ومشقة
الاستعمال .

فإنها تركت هواها ، ورفعت بالها عن نفسها ، فإن
 خاطرت لم تبال ، وإن أتعبت نفسها لم تمل ، وإن اقتضاها
 راكبها السير^(١) والركض والوثب ، استفرغت مجهودها في
 إعطاء كل ما يُتَغَى منها ، من غير جمع ، ولا حزن ، ولا
 تلكؤ ، ولا شمس ، ولا كسل ، ولا تركت أدبها . وقد
 كانت قبل ذلك هملاً في الرعى ، تفعل ما هويت ، فهي قرية
 القيمة من أشكالها من الدواب . وإنما اختصها الملك وأطاب
 علفها ، وصانها عن رؤية الناس ، وجللها ، وعزلها عن الجهد
 والكد ، بترك مراعيها وهواها ، ونشاطها ، وأنسها
 بأشكالها ، واحتالها التعب في جنب مالکها ، وإعطاء المجهود
 بالصدق من نفسها ، ويقظة قلبها ، ونظرها بقلبها إلى راكبها .

ولو كانت - إذا راضها - لم تنقد لمولاه ، ولم تأخذ
 سيرها ، ولم تؤدب بأدبه ، فإن سَيْرَهَا أبطأت في السير ،
 وإن مال بعنانها امتنعت وشَمَسَتْ^(٢) ، وإن مدها جمحت
 فمدت به ، وفي الموضع الذي كان يريد السير منها امتنعت

(١) في الأصل : للسير ، واقتضى يتعدى إلى مفعولين ، تقول : اقتضاه دينه ،
 كما في أساس البلاغة للزمخشري .

(٢) شمس الدابة : شردت وجهت ومنعت ظهرها « لسان العرب » .

من إعطاء ما فيها من القوة ، وفي الموضع الذى أراد منها الوقوف حرت^(١) ، فركبت هواها ، فجاءت بالقوة التى امتنعت منها هناك فى السير .

فإن قهرها باللجام فأمسكت عن الركض ، لم تمسك من أجل مولاها ، ولكنها أمسكت من كبح اللجام ، والألم الذى خلص إلى كبوحيتها ، فأشفقت على فيها ، وأسانها ، ولسانها ، وحنكها ، فتركت حينئذ هواها ، فجعلت تدور ولا تستقر ؛ لأنها لم تسخُ نفسها الدنيئة بطاعة راكبها ، ومع ذلك تبول وتروث فى مكانها ، وتبرك فى مكانها .

فإن استقبلها جلبة نفرت ، وتركت سيرها ، فرجعت قهقرى ، فربما كانت من خلفها بئر أو جرف تتردى فيها ، وتنكسر وتقتل نفسها ، فهذه دابة خسيصة ، فيها أخلاق السوء ، لا تصلح للملك ، وإنما تصلح للحمولة ، فتراها الشهر ، والدهر موكفة^(٢) تحت الحمولة ، فمرة مهزولة ،

(١) حرت الدابة تحزن حرائًا ، وهى التى إذا استدار جريها وقفت . وفرس حرون لا ينقاد . إذا اشتد به الجرى وقف : « لسان العرب » .

(٢) موكفة من الوكف . وهو الثقل والشدة « لسان العرب » ج٦ ص ٤٩٠٩ .

ومرة دبرة جائعة ، فى عنف ، وسير ، وكد عمل ، وهى دابة
من الدواب .

فكذلك يصير العبد إذا راض نفسه بترك الشهوات ،
وقطع الأسباب ، وانقطع عن اللذات ، ومجاهدة الهوى ،
وامتناعه عما يريد ، حتى تذلل وتنقمع ، فحينئذ ينقاد القلب
والعقل ، وتستقيم فى سيرها على حد ما أمر به ، ولا تهاب
أحدًا فى أموره ، ولا تخاف فيه لومة لائم .

وإذا نابته النوائب خاطر بنفسه فى ذات الله ، وأذنه مصغية
إلى مولاه ، وقلبه شاخص إلى مشيئاته وإرادته ، وإلى ما يبرز
له من حجب الغيب ، فيقبله بالطوع والهشاشة ، والانطلاق
إلى ما يستعمله به ، وكيف ينقله من حال إلى حال ، فإن
رأى نصرته عد ذلك منه فضلًا ورحمة .

وإن رأى خذلانه فزع إليه ، وألقى نفسه بين يديه ،
صارخًا إليه ، مستغيثًا به ، فهو ولئى من أوليائه ، رفع باله
عن نفسه ، فرمى بها إلى ربها ، فقالت : أنت ربى ، وأنت
خلقتنى لما تشاء ، لا لما أشاء ، ولا علم لى بشأنى ، وبما
فعلت لى ، ووجدتك أرف وأرحم لى منى بنفسى ، فرفعت

بالى عن نفسى ، وألقيت بيدى إليك مسلماً ، فاقبلنى ، فإنك
 قد بينت فى تنزيلك : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(١) ، وقد ألقيت
 الخلق وراء ظهري ، فنظرت إليك ، وقطعت الأسباب ،
 فتعلقى بك .

والله تبارك وتعالى قائم عليه ، يرعاه ويلكؤه ، ويؤيده
 وينصره ، ويقر عينه ، والعبد مشغول بربه ، ينظر إلى ملكه ،
 وينصر حقوقه ، ويحفظ حدوده ، ويعظم أموره ، ويدب عن
 دينه ما لا يحمل ، ويدعو عباده ، فهو وليه ، ورب العزة
 وليه ، وهذا شأنه حتى يلقاه .

وبيان صفة هذا العبد موجود فى الآثار ، حدثنا
 إسماعيل بن نصر ، قال : حدثنا أبو النذر القطعى ، . قال :
 حدثنا عبد الواحد بن حمزة ، عن مولى عروة بن الزبير ، عن
 عائشة ، رضى الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة لقمان ، من الآية رقم ٢٢ .

والمعنى : « ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه ، ويفوض إليه جميع أمره ، وهو
 محسن فى عمله ، فقد تعلق بأقوى الأسباب التى توصله إلى رضا الله » انظر
 المنتخب من التفسير .

وسلم ، عن الله تبارك وتعالى ، وحدثنا إبراهيم بن المستمر البصرى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدى قال : حدثنا عبد الرحمن بن ميمون مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : حدثني جبريل عن الله عز وجل - دخل حديث بعضهم فى بعض - أنه قال : « ما تقرب إلّى عبدى بمثل أداء فرائضى ، وإنّ عبدى ليتقرب بالنوافل حتى أحبه ، وما تقرب إلّى عبدى بشيء من النوافل مثل النصح لى حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى به يسمع ، وبصره الذى به يبصر ، ويده التى بها يبطش ، ورجله التى بها يمشى ، ولسانه الذى به ينطق ، وفؤاده الذى به يعقل » ^(١) . فما ظننا بعبد يعقل بالله ، وينطق بالله ، ويسمع بالله ، ويبصر بالله ، ويبطش بالله ، ويمشى بالله ، كيف يكون سعيه وآثاره متقلبة فى الدنيا .

(١) أخرجه البخارى كتاب الرقاق ، باب التواضع ج ٨ ص ١٠٥ عن أنس بن مالك ، وأشار ابن حجر فى « فتح البارى » ج ١١ ص ٣٤١ بتخرجه عن عائشة فى كتاب الزهد للإمام أحمد ، وأشار المناوى إلى تخرجه عند أحمد ، والحكيم ، وأبو يعلى ، والطبرانى ، وابن نعيم ، وابن عساكر ، وابن حبان .

قال له قائل : كيف يكون هذا ؟ قال : هذا عبد قد يسره ، وولى سياسته ، وحفظه ، ورعايته ، واستعمله ، فكان فى صنعه قد أمارت فيه الشهوات ، ويسر عليه الصعاب ، وبسط له النور ، ومد له فى الأسباب ، وألهمه وفهمه ، وصيّرهُ من أولى الألباب ، فإن نطق نطق بحكمة وإن أنصت أنصت بفكرة ، وإن نظر نظر بعبرة ، وإن مشى مشى بهيبة ، وإن بطش بطش بغلبة ، قد منع قلبه من التفكير ، وسلب فى الأمور التدبير ، وهذا كله موجود تحقّقه فى الكتاب والخبر .

فأما فى الكتاب فشأن الخضر عليه السلام ، خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار ، فلو عمل فى الظاهر ، ما قدر على ذلك ، ثم قال فى آخر أمره ، ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾^(١) . فهذا من الله فى الباطن ، الذى يؤتیه من يشاء ، وقد قال فى ذكره له : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾^(٢) . فقد

(١) سورة الكهف - من الآية رقم ٨٢ .

(٢) سورة الكهف - الآية رقم ٦٥ .

بين أن هذا له من طريق العلم ، الذى علّمه ربه . وما ذكر
من شأن ذى القرنين فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَعَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ ^(١) . فأوتى العلم
الذى لم يؤت غيره .

فإن قال قائل : فهل يجوز لأحد أن يفعل على ما يترأى
له فى قلبه ، أو يقتدى بالخضر عليه السلام ، فيما يبدو ؟
قيل : لا ، قد ختم الله تعالى بالرسول محمد صلى الله عليه
وسلم الرسالة ، ولم يبق فى الأرض بعده إلا المُلهمون ،
والمحدثون ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « قد كان فى بنى إسرائيل محدثون ، فإن يك فى أمتى
أحد منهم ، فعمر بن الخطاب » ^(٢) وكان ابن عباس عندما
يقرأ هذه الآية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا
نَبِيٍّ ﴾ ولا محدث ^(٣) . والنبى دون الرسول بدرجة ،
والمحدث دون النبى بدرجة ، وللرسول درجة الرسالة ،

(١) سورة الكهف - الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سورة الحج - من الآية رقم ٥٢ .

وللنبي درجة النبوة ، وللمحدث درجة الحديث ، وقد أحكم الله بهذا الإسلام الذى ارتضاه لنا دينًا على لسان الكتاب والسنة ، ما ليس لأحد فيه استبداد ولا تجاوز ولا تقصير ، إنما هو حفظ الحدود ، واتباع الأمر على الجملة .

ثم الصديقون ، والملمهون ، والمحدثون أمور خارجة من الحدود والأحكام ، وهو تدبير الله عز وجل ، وكلايته ، على ما ذكرناه بدءًا .

ولم نجئ بشأن ذكر الخضر هاهنا لنطلق لمن بعده مثله ، إنما أردنا أن نحقق أن الله عبادًا ، يضع عندهم من مكنون العلم ما شاء ، وأن لهم عنده من المنازل ما يتحقق عند من يفهم هذا ، أن ذلك الذى قلنا كيف يكون ، حتى به يسمع ، وبه يبصر ، وبه ينطق ، وبه ييطش ، وبه يمشى ، وبه يعقل .

فأما ما ذكر فى الأخبار ، حدثنا عمر بن أبى عمر ، قال : حدثنا الربيع بن روح الحمصى ، قال : حدثنا ابن عياش ، عن ضمضم بن زرعة الحضرمى ، عن شريح بن عبيد الحضرمى ، عن عبد الله بن زيد ، قال : قال لقمان عليه السلام : « ألا إن يد الله تعالى على أفواه الحكماء ، فلا ينطق

أحد إلا بما هياه الله له . وحدثنا أبو بكر بن سابق الأموى ، قال : حدثنا عمر بن عبيد الطنافسى ، عن الأعمش ، قال : جاء رجل إلى عمر ، رضى الله عنه ، قال : إن علياً شجنى ، فقال عمر ، رضى الله عنه لعلى : لِمَ شججت هذا ؟ قال : إني مررت ، وهو مُقاوم امرأة ، فسألتني مقامها^(١) ، فصغيت لها ، فسمعت ما كرهت ، فشججته ، فقال عمر رضى الله عنه : « إن لله فى الأرض عيوناً وإن علياً من عيون الله » .

حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، سمعه من قيس بن أبى حازم ، قال : عرض أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، فرساً له ، فقال غلام من الأنصار : احملنى عليها يا خليفة رسول الله قال : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل بعدلته ، أحب إلى من أن أحملك عليها . فقال : لِمَ ؟ فوالله أنا خير منك فارساً ، ومن أيبك . قال المغيرة : فما ملكت نفسى أن أخذت برأسه فركبته ، فأقبل منحراه كأنهما عزلاء مزادة^(٢) .

(١) أى ما هى عليه نتيجةه لإساءة الرجل لها .

(٢) عزلاء مزادة : أى فم مزادة - والمزادة : وعاء الزاد والجمع العزالي .

قال : فبلغ أبا بكر رضى الله عنه أن ناساً من الأنصار يتوعدون المغيرة ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلغنى أن ناساً من الأنصار يتوعدون المغيرة ، والله لا يخرجون من ديارهم أسرع من أقيدهم بروعة الله .

حدثنا الجارود ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما إلى بنى سليم ، فجعلهم فى الحظائر^(١) ، فحرقهم بالنار ، قال عمر رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه : تستعمل رجلاً يعذب بعذاب الله ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : « دعنا عنك يا عمر ، والله لا أشيم سيفاً سله الله على المشركين ، حتى يكون هو الذى يشيمه » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ ، رضى الله عنه : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة » .

والرفيع : السماء ، والأرفعة : جماعة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أصاب فيهم حكم الله عنده ، وكان

(١) الحظائر جمع حظيرة وهى ما يدار حول الإبل وغيرها من خشب أو قصب لحفظها من البرد والريح .

حَكَمَ بَانَ ثُقُلتِ مقاتلتهم ، وثُسبى ذراريمهم ، وتكون الغنيمة للمهاجرين دون الأنصار ، وذلك فى شأن بنى قريظة .

حدثنا عبد الكريم بن عبد الله ، عن على بن الحسن ، عن عبد الله ، قال : أخبرنى أبو بكر بن أبى مریم ، حدثنى راشد بن أبى راشد ، قال كنت مع خالد بن أبى معدان يوماً فى بعض أسواق المدينة بجمص ، فإذا نحن بنصرانى أظهر الشرك بالله تعالى . فقال لى خالد : احسر عن ذراعیك ، ثم قال لى : دق أنفه ، قال راشد : فوجأت أنفه أن دققته ، فانطلق النصرانى فاستعدى علينا ، فقال الوالى لخالد : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أرغم الله أنفه وأنف من ثقل عليه تأدينا له ، أنه ليس لهم أن يظهرُوا شركاً ولا صلياً ، فيصلع هذا بهم ، حتى يكفوا عن إظهار الشرك بالله عز وجل .

حدثنا عبد الله بن أبى زياد ، قال : حدثنا سيار عن حفص بن سليمان ، عن مالك بن دينار رحمه الله ، قال : رأى عامر بن عبد قيس ذمياً يظلم ، فألقى رداءه فقال : والله لا تخفر ذمة وأنا حى^(١) فاستنقذه .

(١) لا تخفر ذمة أى : لا تُنقض . ومن المخطوط ط « أتخفر » لا تصح .

فإذا فطمت نفسك عن حرارة الهوى ، ووقعت حرارة
القطام على قلبك ، فذابت تلك الأخلاط عن قلبك ، وظهر
قلبك ، وخرج صافياً كما خرج الذهب الذى أحمى ، فتهافت
عنه تلك الأوساخ والأدناس ، لأن للهوى على القلب أوساخاً
وأدناساً ، كما كان للمعاصى على القلب نكت سود ، على ما
جاء في الحديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :
« إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا عاد
نُكِتْ أخرى ، فإذا تاب ونزع صقل قلبه » ^(١) ثم تلا :
﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٢) .
فإذا ذهبت المعصية بالتوبة ذهب سواده ، وبقي دخانه ،
وذهب الشيطان وبقي ظله ، كما ذهب الليل وبقي
سدفه ^(٣) وآثاره عند وجه الصبح ، فإذا تاب عن المعصية ،

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه ، كتاب الزهد ، باب تكرار الذنوب ج ١ ص
١٤١٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ط عيسى البابى الحلبي ، وأخرجه الإمام
أحمد فى المسند وأخرجه الترمذى فى السنن تفسير سورة المطففين وقال :
حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٤٣٤ ط الحلبي ، وأخرجه النسائى فى السنن
الكبرى فى التفسير وفى عمل اليوم والليلة .

(٢) سورة المطففين الآية رقم ١٤ .

(٣) السدف : ظلمة الليل « انظر ابن منظور لسان العرب ج ٣ ص

وهو ممن يستعمل الهوى ، فالهوى باقٍ بعد ، فهذا قلب قد تاب ، ولم ينزع ، فلم يصقل قلبه بعد .

وذلك أن المرأة المصقولة إذا نظرت فيها ، أرتك عن اليمين وعن الشمال ، وخلفك وأمامك ، فإذا قلبت بها إلى عين الشمس هكذا ، فلاقى نور المرأة نور الشمس ، وجدت الشمس تشرق في مكانك ، وفي بيتك ، فكذلك إذا صقلت مرآتك ، وهى قلبك ، نظرت عنها إلى الجنة والنار ، وإلى بهاء الحسنات ، وإلى جمالها ، ورفعة مرتبتها ، وإلى قبح السيئات ، وإلى الدنيا والآخرة .

وإذا نظرت فيها إلى تدبير خالقك ، تراءى لك عجائب ، وذلك النور الذى تجده عندك - إذا أقبلت بمرآتك إلى عين الشمس - ليس هو الشمس ، إنما هو نور حدث من بينهما ، فإذا صفا قلبك من الهوى ، حينئذ تجد اليقين ؛ لأن اليقين هو نور يحدث على قلبك من نور معرفتك ، ونور إلهك الذى هو نور السموات والأرض ، ونور كل شيء .

فإذا أقبلت على الله ، تبارك اسمه ، أشرق القلب بالنور ، فذلك اليقين ، وإذا كان بالمرآة صداً ، فقلب بها إلى عين

الشمس ، لم يشرق في البيت منه شمس لأنه قد حال بين نور المرأة ونور الشمس ذلك الصدا .

فكذلك القلب إذا أقبلت على الله تعالى وعليه الهوى ، لم يشرق بالنور الأعظم ؛ لأن الهوى قد حال بين نور المعرفة ، وبين النور الأعظم ، وهو اليقين ، فإذا ذهب الهوى ، فنظرت له ، تلاقى النوران ، فأشرق في صدرك ، فأبصرته عين قلبك ، فصار يقيناً ، واليقين في لغة العرب هو الشيء المستقر الثابت ، تقول العرب ، قد يقن المار في الحفيرة . .

صفة القلب

قال له قائل : اشرح لنا صفة القلب .

قال : القلب بضعة من لحم ، في جوف بضعة أخرى ، وهو الفؤاد ، ومعدن النور القلب ، ومنه قيل خبز فئيد ؛ لأنه في جوف الرماد الحار والجمر ، فالبضعة الخارجة هي الفؤاد ، وإنما سمي قلباً لأنه يتقلب ، وله عيان وأذنان وباب ، والصدر بيته ، وإنما سمي صدرًا لأن الأمور تصدر عنه ، فالنور الذي في القلب يعرف ربه لأنه نوره ، وهو حبة